

## ب- نهاية بني إسرائيل المحققة وتطهير المسجد الأقصى من أرجاسهم

قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين في أوائل سورة الإسراء (الآيات/2-8): (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا. وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلنّ علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبييرا. عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا).

وهذه الحلقة من سيرة بني إسرائيل لا تذكر في القرآن إلا في هذه السورة وهي تتضمن نهاية بني إسرائيل التي صاروا إليها ودالت دولتهم بها وتكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفسحوا الفساد فيها وفاق لسنة الله تعالى وذلك أنه إذا قدر الله الهلاك لقرية جعل إفساد المترفين فيها سببا لهلاكها وتدميرها.

ولقد خاطبهم سبحانه وتعالى باسم آبائهم الذين حملهم مع نوح، وهي خلاصة البشرية على عهد الرسول الأول في الأرض سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام. خاطبهم بهذا النسب ليذكرهم باستخلاص الله لآبائهم الأولين مع نوح العبد الشكور وليردهم إلى هذا النسب المؤمن العريق. ووصف نوحا عليه السلام بالعبودية لهذا المعنى ولمعنى آخر، هو تنسيق صفة الرسل المختارين وإبرازها. وقد وصف بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من قبل جل وعز: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) (الإسراء/1). في ذلك الكتاب الذي آتاه الله لموسى ليكون هدى لبني إسرائيل أخبرهم بما قضاه عليهم من تدميرهم بسبب إفسادهم في الأرض. وتكرار هذا التدمير مرتين لتكرر أسبابه من أفعالهم، وأنذرهم بمثله كلما عادوا إلى الإفساد في الأرض، تصديقا لسنة الله الجارية التي لا تتخلف.

ولقد قضى الله سبحانه وتعالى في الكتاب الذي آتاه لموسى عليه السلام أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وأنهم سيعلمون في الأرض المقدسة وسيسيطرون وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد سلط عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرمتهم ويدمرهم تدميراً.

(فإذا جاء وعد أولاهما) أي أولى المرتين من فسادهم (بعثنا عليكم عبادة لنا أولي بأس شديد) هم أهل بابل. وكان عليهم بختنصر في المرة الأولى حين كذبوا أرمياء<sup>1</sup> وجرحوه وحبسوه. قاله ابن عباس وغيره. وقال قتادة أرسل عليهم جالوت فقتلهم فهو وقومه أولوا بأس شديد.. وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم: أول الفساد قتل زكرياء عليه السلام، وقيل غير ذلك.

(فإذا جاء وعد الآخرة) من إفسادكم وذلك أنهم قتلوا في المرة الثانية يحيى بن زكرياء عليهما السلام. قتله ملك من بني إسرائيل يقال له لاخت وقيل اسمه هيردوس. حمله على قتله امرأة اسمها أزييل. وذكر ابن عساكر الحافظ في تاريخه عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: "كان ملك من هذه الملوك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه أخوه. فأراد أن يتزوج امرأة أخيه فاستشار يحيى بن زكرياء عليهما السلام في ذلك، وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء. فقال له: لا تتزوجها فإنها بغية (أي زانية) فعرفت المرأة أنها قد ذكرها وصرفه عنها فقالت: من أين هذا؟ حتى بلغها أنه من قبل نبي الله يحيى عليه السلام فقالت: ليقتلن يحيى أو ليخرجن من ملكه. فعمدت إلى ابنتها وصنعتها ثم قالت: اذهبي إلى عمك عند الملاء فإنه إذا رآك سيدعوك ويجلسك في حجره ويقول سليني ما شئت، فإنك لن تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فإذا قال لك ذلك فقولي: لا أسأل إلا رأس يحيى.

قال: وكانت الملوك إذا تكلم أحدهم بشيء على رؤوس الملاء ثم لم يمض له نزع من ملكه ففعلت ذلك. قال: فجعل يأتيه الموت من قتله يحيى وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه. فاخترَ ملكه فقتله. قال: فساخت بأمرها الأرض". واختلف فيمن كان المبعوث على بني إسرائيل في المرة الأخيرة.

<sup>1</sup> أحد كبار أنبياء بني إسرائيل الأربعة (نحو 650-585 ق م) تنبأ لمواطنيه بسقوط أورشليم ودعاهم إلى الخضوع لملك بابل فاضطهدوه وبعد سقوط المدينة، نجا من السبي فأرغمه بعض مواطنيه على الهرب معهم إلى مصر حيث توفي عليه الصلاة والسلام.

قال الثعلبي: "والصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق قال: لما رفع الله عيسى بن مريم من بين أظهرهم وقتلوا يحيى... وبعض الناس يقول: لما قتلوا زكرياء- بعث الله إليهم ملكا من ملوك بابل يقال له (خردوس) فسار إليهم بأهل بابل وظهر عليهم بالشام ثم قال لرئيس جنوده: كنت حلفت بالهي لئن أظهرني الله على بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، وأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم، فدخل الرئيس بيت المقدس فوجد فيها دماء تغلي فسألهم فقالوا: دم قربان قربناه فلم يتقبل منا منذ ثمانين سنة<sup>2</sup>. قال ما صدقتموني فذبح على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسائهم فلم يهدأ، فأتي بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ. فأمر بسبعة آلاف من سبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد فقال: يا بني إسرائيل اصدقوني قبل ألا أترك منكم نافخ نار من أنثى ولا من ذكر إلا قتلته. فلما رأوا الجهد قالوا: إن هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فقتلناه. فهذا دمه كان اسمه يحيى بن زكريا ما عصى الله قط طرفة عين ولا هم بمعصية. فقال: الآن صدقتموني وخرّ ساجدا ثم قال: لمثل هذا ينتقم منكم. وأمر بغلق الأبواب وقال اخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس وخلا في بني إسرائيل وقال: يا نبي الله يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك فاهداً بإذن الله قبل ألا أبقي منهم أحدا فهداً دم يحيى بن زكريا بإذن الله عز وجل ورفع عنهم القتل وقال: ربي إني آمنت بما آمن به بنو إسرائيل وصدقت به. فأوحى الله تعالى إلى رأس من رؤوس الأنبياء: إن هذا الرئيس مؤمن صدوق. ثم قال: إن عدو الله (خردوس) أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دمائكم وسط عسكري، وإني لا أعصيه. فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الإبل والخيل والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم إلى العسكر. وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، ثم انصرف عنهم إلى بابل وقد كاد أن يفني بني إسرائيل.

ومن طريق آخر وجدنا أن الآية السالفة الذكر فسرها الحديث النبوي الشريف الذي رواه حذيفة رضي الله عنه مرفوعا، قال حذيفة: قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما، جسيم الخطر عظيم القدر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو من أجل البيوت، ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد: وذلك أن سليمان

<sup>2</sup> وفي تاريخ الطبري ثمانمائة سنة.

بن داود لما بناه سخر الله له الجن فأتوه بالذهب والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد، وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف. قال حذيفة: فقلت يا رسول الله وكيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بني إسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سلّط الله عليهم بختنصر وهو من المجوس وكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله: "فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا"، فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناف فاحتملوها على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل.<sup>3</sup>

فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام. ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل وأن يستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل.. فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان من بيت المقدس وردده الله إليه كما كان أول مرة فقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل وهو قوله: (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا).

فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلّط الله عليهم ملك الروم (قيصر) وهو قوله: "فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تبيرا". فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ حلي جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب، فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي فيرده إلى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبعمائة سفينة يرسى بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس وبها يجمع الله الأولين والآخرين... إلى آخر الحديث النبوي الشريف<sup>4</sup>.

<sup>3</sup> مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين على مسافة 80 كم جنوب شرقي بغداد. أنشئت حولها الدولة البابلية القديمة والحديثة وازدهرت فيها العلوم الفلكية والرياضية والآداب...

<sup>4</sup> راجع "الجامع لأحكام القرآن" للإمام أبي عبد الله محمد القرطبي رضي الله عنه.

وعند الإمام الشهيد سيد قطب رضوان الله عليه ما يريح الضمير ويثلج الصدر ويطمئن الفؤاد فيقول رحمه الله في "ظلال القرآن" مفسرا وعد المرة الآخرة: "ولقد صدقت النبوة ووقع الوعد فسَلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر مملكتهم فيها تدميرا.

ولا ينص القرآن على جنسية هؤلاء الذين سلطهم على بني إسرائيل لأن النص عليها لا يزيد في العبرة شيئا. والعبرة هي المطلوبة هنا، وبيان سنة الله في الخلق هو المقصود. ويعقب السياق على النبوءة الصادقة والوعد المفعول بأن هذا الدمار قد يكون طريقا للرحمة: "عسى ربكم أن يرحمكم" إن أفدتم منه عبرة. فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية: "وإن عدتم عدنا".

ولقد عادوا إلى الإفساد فسَلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها. ثم عادوا إلى الإفساد فسَلط عليهم عبادا آخرين، حتى كان العصر الحديث فسَلط عليهم "هتلر" .. ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة "إسرائيل" التي أذقت العرب أصحاب الأرض الويلات. ويسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع، وفاقا لسنته التي لا تتخلف... وإن غدا لناظره قريب".

وقد ورد في سنن ابن ماجه أن من علامات الساعة خروج المسيح الدجال يقول للناس "أنا نبي" ولا نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويقول لهم "أنا ربكم" وهو أعور.. والله ليس كمثلته شيء... ولا يبقى شيء من الأرض إلا ووطنه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة أعزهما الله وحفظهما. وحينما ينزل عدو الله بالضرب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم الخلاص. فقالت أم شريك بنت أبي العكر رضي الله عنها: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال عليه الصلاة والسلام يومئذ قليل وجلهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح<sup>5</sup>. فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له

<sup>5</sup> إشارة إلى الإمام المهدي عليه السلام وهو من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تقدم فصل فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال<sup>6</sup> معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي وساج. فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللدّ الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة (إلا الغرقة فإنها من شجرهم لا تنطق) إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعالى اقتله.. الخ...".

---

<sup>6</sup> يمكث في الأرض أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر الأيام عادية.